الرئيس الاسد والمبعوث الاميركي ريشارد مورفي اتفقا على منع أي مقاتل فلسطيني من دخول جنوب لبنان» (الاهرام، القاهرة، ٢٧/٤/١٩٨٥). وحذّر عرفات من مخاطر المؤامرة ضد المخيمات الفلسطينية، مؤكداً ان م.ت.ف. لن تسمح بتكرار ما حدث في طرابلس أواخر العام ١٩٨٣، وان المنظمة سوف تواجه المؤامرة التي بدأت بمحاصرة مخيمات صيدا، وسوف تمنع تكرار ما حدث في مخيمي صبرا وشاتيلا في مخيمات جنوب لبنان (الرأي، عمان، ١/٥/١٩٨٥).

الحرب ضد المخيمات الفلسطينية؛ صراع السياسات

اخفقت كل الجهود السورية المتتالية في اجهاض دور م.ت.ف. سياسياً، على الرغم من دعمها للانشقاق في «فتح» وتشكيل جبهة الانقاذ الوطني الفلسطينية، ومنع تنفيذ اتفاق عدن ـ الجزائر الخاص بعقد دورة توحيدية للمجلس الوطني الفلسطيني.

وعلى اثر عقد دورة المجلس في عمان، ونجاحها في تشكيل هيئة قيادية قادرة على التحرك، عمل النظام السوري على فتح الملف الفلسطيني في لبنان، في محاولة لأخراج القوى الفلسطينية المؤيدة لسياسات قيادة م.ت.ف. من المخيمات الفلسطينية، بهدف ابعاد م.ت.ف. عن ساحة الفعل السياسي، والعسكري، وذلك، عبر سلبها ورقة العمل الوطني في لبنان، على اعتبار ان عودة م.ت.ف. للعب دور مباشر على ساحة الشرق الاوسط، خارج الوصاية السورية، يقلل من القوة الاقليمية التي احاطت سوريا نفسها بها. ومن هنا، أجازت سوريا لحركة «أمل» العمل على نزع سلاح الفلسطينيين، وسلّحتها بالدبابات، استعداداً للبدء في شن حرب ضد المخيمات الفلسطينية في بيروت.

وبالفعل، اندلع القتال عنيفاً حول مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة، شاملاً كل الاحياء المحيطة بها، وذلك منذ منتصف ليل الاحد ـ الاثنين ١٩ ـ ٢٠/٥/١٩٨٥. ومنذ الساعات الاولى لتلك الحرب، كان واضحاً، من غزارة النيران (قصف مدفعي وصاروخي) وحجم القوات المهاجمة، ان الحرب تستهدف الوجود الفلسطيني برمّته، وبحسم سريع. وقد حمّلت قيادة المنظمة مسؤولية تلك الهجمات لحركة «أمل» والنظام السوري. وأكد صلاح خلف (أبو اياد)، في مؤتمر صحافي عقده في تونس، «أن سوريا موّلت الاعتداءات على المخيمات الفلسطينية في بيروت، من أجل تصفية الوجود الفلسطيني في لبنان». وذكر خلف «ان نبيه بري هو الاداة المنفذة لخطة اميركية ـ اسرائيلية ـ سورية، ترمي الى طرد الفلسطينيين من لبنان» (وفا، تونس، ٢٣/٥/١٩٨٥). من جهة أخرى، حمّلت سوريا قيادة المنظمة مسؤولية انفجار الوضع الامني في بيروت. وزعمت صحيفة «تشرين» «ان عرفات قد تسبب بأحداث المخيمات لأعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل العام ١٩٨٢، لأن التطورات المستجدة على الساحة اللبنانية شكلت ضربة لنهجه» (تشرين، ٢١/٥/١٩٨٥). وأبلغ مصدر رسمي سوري الى وكالة «سانا» «ان من حق اللبنانيين ان يرفضوا السماح لعرفات، ولغيره، باعادة الاوضاع الشاذة» (المصدر نفسه). وفي اطار محاولات تحييد جزء من الفلسطينيين، أعلنت «أمل» انها تقاتل «جماعة ياسر عرفات فقط»، لكن القذائف التي كانت تسقط على المخيمات لم تكن تميز بين فلسطينيي عرفات، وفلسطينيي غيره. ولم يستطع حتى حلفاء سوريا من الفلسطينيين الصمت، فقاتلوا ضد «أمل»، مما شكل حرجاً لسوريا، التي اضطرت الى الظهور بمظهر «الحكم»، وترتيب اتفاقات اطلاق النار التي لم تكن قادرة على الصمود أمام الدوافع والمصالح التي تحركت «أمل» على اساسها*، وفي مقدمها انهاء الحالات الفلسطينية المسلحة، والمنظمة، داخل المخيمات الفلسطينية، وفي الجنوب اللبناني.

ومع اندلاع القتال، واشتداد اواره، استمرت الجهود العربية الهادفة الى ايقافه دون جدوى؛ وكذلك حاولت سوريا، ومنذ الايام الاولى للحرب ضد المخيمات الفلسطينية، ايهام الجميع بأن الطرف الفلسطيني المخوّل

* أحمد شاهين، «الحرب على المخيمات؛ محاولة قتل شاهد عيان»، شؤون فلسطينية، العدد ١٦٠ ـ ١٦١، تموز/آب (يوليو/اغسطس) ١٩٨٦، ص ١٦.